الحميد

من أسماء الله الحُسنى الحميد.. هذا الاسم ورد في أحاديث رسول الله ﷺ المتعلّقة بأسماء الله الحُسنى .

وبعد فهذا الاسم مشتقٌ من مادة الحمد ، أما كلمة مادة ، فهذه كلمة معجمية.. أي المعجم مؤلَّف من مواد ، فالحمد : حاءٌ ، وميمٌ ، ودالٌ ، هذه مادة الحمد ، فيها حَمِدَ ، ويحْمَدُ ، وحامد ، ومحمود ، الحمد ، الحميد ، هذه كلها مشتقات.. فكلمة الحميد مشتقةٌ من مادة الحمد ، والحمدُ نقيض الذم ، تحمده أو تذمُّه ، الحمد متعلق بالكمال ، والذم متعلق بالنقص ، أنت بفطرتك تحمد الكامل وتذمُّ الناقص ، فموطن الحمد الكمال ، وموطن الذم النقص ، فلأنَّ الله سبحانه وتعالى كاملٌ كمالاً مطلقاً فهو يحمد ، ولأن الإنسان المنحرف منحرفٌ وناقصٌ فهو يذمُّ ، فالحمد نقيض الذم ، وعلينا أن لا ننسى أن القرآن الكريم كلُّه مجموعٌ في الفاتحة ، وأن مطلع الفاتحة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] .

إلا أن الحمد لله ربِّ العالمين.. الحمد في هذه الآية مفروغٌ منه ، ولكن بعض الناس ضلّت بهم السّبل فجعلوا الحمد لغير الله تعالى ، وهذا بيان ذلك :

إنّ الإنسان يشرب كأس الماء ، ويأكل الطعام ، ويأوي إلى بيت ، ويلتقي مع أهل بيته ، هذه نعمٌ لا يختلف فيها اثنان على وجه الأرض فالجائع يأكل فيشعر أن الطعام نعمة ، والعطشان يشرب الماء القراح البارد فيرتوي ويشعر أن الماء نعمة ، والمشرَّد إذا أوى إلى بيته يشعر أن المأوى نعمة ، فهذه النعم لايختلف عليها اثنان على وجه الأرض ولكن أناساً عزو هذه النعم إلى البقر فعبدوها من دون الله ، وأناساً عزوها إلى الشمس ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى هو صاحب الحمد : وإنّ الحمدَ هو الشيء الثابت ، والقاسم المشترك ، والشيء الذي لايختلف عليه اثنان . . ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

المنعم هو الله ، فالحمد نقيض الذم ، وقيل الحمد والشكر لافرق بينهما ، والأصح كما يقول علماء اللغة : إنَّ الاختلاف في المبنى ، دليل الاختلاف في المعنى . . الشكر غير الحمد .

قيل : الفرق بين المعنيين ، أن الحمد يكونُ عن يدٍ وعن غير يد ، أما الشكرُ فلا يكون إلا عن يد . . ما معنى ذلك ؟ أي إذا أسدى إنسان إليك معروفاً ، أنت تشكره ، أما إذا أسدى إنسان إلى إنسانٍ معروفاً فأنت بفطرتك العالية تقدِّرُ هذا المعروف ، فأنت تحمده . مع أن معروفه لم يصل إليك .

فنحنُ نحمدُ صاحب اليد ، صاحب الإحسان ، نحمدُ الكامل ، أصابنا كماله أو لم يصبنا ، ونشكرُ الذي أكرمنا ، فالشكر متعلقٌ بنعمةٍ وصلت إليك ، أما الحمد فمتعلقٌ بالإنسان الكامل وصلت إليك نِعَمُه أو لم تصل .

والمعنى الثالث.. قيل : الحمد أعمُّ من الشكر.. الحمد الشعور المتغلغل في أعماق النفس بالإمتنان .

حدثني رجل مُحسن ، قال : طفل صغير أصيب بحادث وهو فقير ، وهذا المُحسن أجرى له سبع عشرة عمليةً جراحيَّة إلى أن استطاع أن يقف على قدميه ، فهذا الطفل الصغير عرف أن هذا الإنسان هو المحسن ، فعبَّر عن شكره بشكلٍ لا يوصف لهذا المُحسن وهو طفلٌ صغير ، فالأجدر بك أيها الإنسان أن تعرف قدر الله الذي أحسن إليك كل الإحسان .

وإني أرجو أن أكون صادقاً فيما أقول : أحياناً تشعر أن كل خلية في جسمك تحمد الله عزَّ وجلَّ ، بل إن كل قطرةٍ في دمك تحمدُ الله عزَّ وجلَّ ، تحمده على أن أوجدك ، لو لم يوجدْك هل لك عنده شيء ؟ أوجدك ، وأمدك ، وهداك إليه ، وأراد أن يسعدك في جنةٍ إلى أبدِ الآبدين ، لذلك آخرُ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.. كما قال تعالى :

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ١٠] .

إن لم يكن الحمدُ متغلغلاً في أعماقِ أعماقِ نفسك ، وإن لم يلهج لسانُك بالثناء على الله عزَّ وجلَّ فأنت لست مؤمناً ، لأنَّك تقرأُ الفاتحة في اليوم أعتقد زهاء ثلاثين مرة ، وفي كل مرة تقول : الحمد لله ربّ العالمين ، الحمد لله ربّ العالمين ، فعندما يقرأ الإنسان الفاتحة ، يستشعر هذه النعم ، إذ أوجدك ، وهداك إليه .

أي عندما أنت تقرأ أنَّ أُناساً في بعض البلاد في شرقِ آسيا يعبدون

الجرذان ، وأنت تعبد الله الذي خلق الأكوان ، وزوّدك بمنهج واضح ، والطريق تعرف نهايته ، تعرف ماذا بعد الموت ، الله جلَّ جلاله خلقك ليسعدك ، فالحمد من ألزم لوازم المؤمن .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ ضَحِكَ فَقَالَ : « **أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : « **عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، إِنْ أَصَابَهُ مَا يُحِبُّ حَمِدَ اللهَ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ فَصَبَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِلا الْمُؤْمِنُ** » .

أحياناً الإنسان يشربُ كأسَ ماءٍ بارد.. كان عليه الصلاة والسلام تعظمُ عنده النعمة مهما دقَّت.. ولا بد من قول الحمد لله . طريق سالك ، والكليتان تعملان بانتظام ، والماء موجود ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

أقام إنسان بإحدى دول الخليج لفترة طويلة ، وهي قصة قديمة ، أراد أن يعود إلى بلده أي إلى سورية ، لم يكن الطريق معبَّداً كما هو الآن فضلَّ الطريقَ في الصحراء ، ووجدوه على بعد خمسة كيلو مترات ، وقد مزّق بأظافره جلد وجهه من شدة العطش ، ووجدوا زوجته وأولاده في المركبةِ ميتين .

قطرة من الماء تعدل الحياة فأنت تشرب الماء القراح ، فإذا الإنسان شرب كأساً من الماء وقال : ولا بدّ من قول الحمد لله رب العالمين هذا إيمان.. كان سيدنا عمر إذا أكل حمد الله.. مرةً جاءه رسول من أذربيجان فأراد الرسول أن يتنعَّم بتناول طعام الغداء عند

سيدنا عمر ـ وقد كان خيَّره ـ أتأكل مع فقراء المسلمين أم تأكلُ في بيتي ؟ قال له : في بيتك . فليست هناك نسبة في نظر الضيف بين طعام عمر وطعام فقراء المسلمين ! فإذا في بيته الملح والخبز فقط ، فقراء المسلمين يأكلون اللحم الطيِّب ، قال : يا أمَّ كلثوم ماذا عندكِ من طعام ؟ قالت : والله ما عندنا إلا خبزٌ وملح ، قال : فأكل عمر وضيفه هذا الطعام وقال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا .

عن أبي عبد الرحمن البجلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم! قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم! قال : فأنت من الأغنياء . قال : فإني لي خادماً ، قال : فأنت من الملوك [رواه مسلم موقوفاً] .

لست مضطراً إلى أن تغسل كليتيك ، فيقول : هذا صحيح لست مضطراً إلى أن تغيِّر دساماتِ قلبك في بريطانيا ، وتدفع أجرة عملية مليون ليرة ، فالسعادة عندما يكون الإنسان في صحة جيدة ، وعنده قوت يومه .

لذلك ذات مرة سأل ملك وزيره وكان ملكاً جباراً قال له : من الملك ؟ فقال الوزير : أنت . فقال له الملك : لا . . الملك هو رجلٌ لا يعرفنا ولا نعرفه له بيتٌ يؤويه ، وزوجة ترضيه ، ودخلٌ يكفيه . هذا هو الملك .

النبيّ ﷺ قال :

« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِناً فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا » .

استيقظت فوجدت أنَّ أجهزة جسمك سليمة ، قمت من فراشك ، سرت إلى الوضوء توضأت ، وصليت إذاً أنت ملك ، الله عزَّ وجلَّ سمح لك ان تعيش يوماً جديداً ، عافاك في بدنك ، أذن لك أن تذكره وتشكره .

أحياناً تجد في أثناء أذان الفجر إنساناً يغسل سيارته في الساحات العامة ، فهل هذا الوقت وقت غسيل السيارات !! أم وقت ذكر لله عزَّ وجلَّ ؟ فإنه لا يعرف الله ، سيارته وغسيلها أهم عنده من أداء الصلاة .

لذلك قيل : ليس الولي الذي يطير في الهواء ولا الذي يمشي على وجه الماء ، ولكنَّ الوليَّ كلَّ الولي الذي تجده عند الحلال والحرام . . أن يجدكَ حيثُ أمرك ، وأن يفقدك حيثُ نهاك .

فالحمد أعمُّ من الشكر . . فالحمد يعني أنّ كيانك ، ذرَّات جسمك ، خلاياك ، قطرات دمائك كلُّها عليها أن تشكر الله سبحانه وتعالى :

وجدناك مضطّراً فقلنا لك : ادعُنا نُجبك . . فهل أنت حقاً دعوتنا ؟
دعوناك للخيرات أعرضت نائياً فهل تلقى من يحسن لمثلك مثلنا ؟
فيا خجلتي منه إذا ما قال لي : أيا عبد سوء أما قرأت كتابنا ؟
أما تستحي منّا ويكفيك ما جرى ؟ أما تخشى من عُتبنا يوم جمعنا ؟
أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً إلينا وتنظر ما به جاء وعدنا

الحمد لله يجب أن يدخل في كيانك كلِّه ، يجب أن يتغلغل في ذرَّات جسمك ، في خلاياك ، في قطرات دمك ، لأن وجودك نعمة ،

وإمدادك نعمة ، وهدايتك نعمة ، وأنت نعمةٌ من نعم الله عزَّ وجلَّ ، وقد قال الله تعالى :

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

حتى عندما يصلي الإنسان أيّة فريضة من الصلاة فليحمد الله أن وفّقه لطاعته ، فهذه نعمة .

أجل ، الهداية نعمة ، يقول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء : ١٤٧] .

أي حينما تؤمن وتشكر ، أنت تحقق الهدف من وجودك ، لأن هذا الكون مسخرٌ لكَ تسخيرين ، تسخيرَ تعريف ، وتسخيرَ تكريم ، إنك إن آمنت حققت المعرفة ، وإنك إن شكرت حققت الشكران .

الحمد أن ترضى عن الله عزَّ وجلَّ ، وقد قال الله تعالى :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة : ١١٩] .

مرّت بنا هذه العبارة من قبل . . . الحزن خلاَّق ، المصيبة تفتّق العبقريّات ، أما الرخاء والنعيم والطعام والشراب فإنه يؤدي إلى الخمول والقعود والجمود ، فالإنسان يجب ألا يتألّم من المصيبة ، لعلَّ المصيبة هي الباعث الحثيث إلى الله عز وجل .

فإنَّك لاتكون مؤمناً إلا إذا رأيت أفعال الله كلَّها تستحقُّ أن يُحمد عليها ، أحياناً يكون الموسم ممطراً ، والفواكه رخيصة ، والجو لطيف ، أحياناً غلاء ، أو حر شديد ، أو زلزال ، أو فيضان ، أو

براكين ، أو يذيق الله بعض الناس بأس بعض ، أفعاله كلُّها يحمد عليها .

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى به ما قد مضى
فلَرُبَّ أمرٍ مسخطٍ لك في عواقبه رضا
ولربَّما اتسع المضيـ ـق وربَّما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشا ء فلا تكن معترضا
الله عوَّدك الجميـ ـل فقس على ماقد مضى

وبعد : فالحمد . . هو الرضا ، والحمد هو الجزاء ، والحمد هو قضاء الحق ، أن ترضى وأن تجازي وتكافىء وأن تقضي الحق ، هذا من معاني الحمد .

والمحْمَدَة . . الخصلة التي يحْمَد عليها الإنسان ، وجمع محمدة محامد ، والتحميد : هو حمد الله عزَّ وجلَّ بالمحامد الحسنة وهو أبلغ من الحمد ، ومنه الاسم الشريف ، محمَّد ﷺ ، فهو النبي المحمود الذي كثرت خصاله المحمودة .

فالنبيُّ ﷺ محمَّد مشتق من الحمد وهو مفعَّل ، ومفعَّل صفة تلزم من كثُرَ منه فعل ذلك الشيء فمحمَّد مفعَّل لأنه حُمِد مرَّة بعد مرة ، كما تقول : كرَّمته فَهو مكرَّم ، وعظَّمتُهُ فهو معظَّم ، إذا فعلتُ ذلك به مراراً .

والتحميدُ . . هو حمدُ الله أو كثرة الحمد ، والحَمْدَلَةُ ، فلان حَمْدَلَ أي قال : الحمد لله ، سَبْحَلَ أي قال : سبحان الله ، حَوقَلَ أي قال : لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، دَمْعَزَ أي قال : أدام الله عزَّك ،

حَيْعَلَ أي قال : حيَّ على الفلاح ، هلَّلَ أي قال : لا إله إلا الله ، كَبَّرَ أي قال : الله أكبر ، هذه صيغة النحت في اللغة العربية ، الحَمْدَلَةُ هي أن تقول الحمد لله ربِّ العالمين .

وليعلم كلّ مؤمن أنّه لا بدَّ من الابتلاء ، فإن ساق الله لهذا الإنسان مصيبةً ، وتلقَّاها بصبرٍ جميل ، وقال : الحمد لله ربِّ العالمين ، نجح مئة على مئة ، والصبر عند الصدمة الأولى ، لذلك المؤمن لا ـ سمح الله ولا قدَّر ـ لو ساق الله له مصيبة ، لمجرد أن الله ساقها له يقول : الحمد لله ربِّ العالمين . . نجح .

الإمام الرازي يرى أن معنى الحميد وهو اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، هو بمعنى حامد ، أي لم يزل سبحانه بثنائهِ على نفسه ، أي يحمد نفسه ، لماذا يحمد نفسه ؟ طبعاً الإنسان لا يحقُّ له أن يحمد نفسه ، لأنه ليس له هذه المرتبة ، والمؤمن لا يتحدَّث عن نفسهِ أبداً لماذا ؟ سيدنا الصديق مرةً أثنى عليه بعض الأشخاص ، فدعا دعاء رائعاً ، قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهمَّ اجعلني خيراً مما يقولون ، واغفر لي مالا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

والإنسان المؤمن الصادق لا يمدحُ نفسه أبداً ، بل الناس يمدحونه ، أما أنت فلتتهم نفسك دائماً كلَّما بالغت في اتهامها كنت موفقاً أكثر ، لكن الله يمدح نفسه ليعرِّفنا ذاته ، ولكي نصل إليه ، ولكي نقبل عليه ، ولكي نطمع في مغفرته ، ولكي نطمع في عطائه ، ويمدح نفسه كي نطمع في جنَّته ، فهناك فرق بين الإنسان الضعيف الحادث الفاني الفقير الجاهل لا ينبغي أن يمدح نفسهُ ، ولكن الله

حميد بمعنى حامد ، يحمدُ نفسه لخلقهِ ، لكي يعرفوه يحمد نفسه لخلقه ليقبلوا عليه فيسعدوا بإقبالهم ، ويحمد نفسه لخلقه ليتجهوا إليه ، ويحمد نفسه لخلقه لينالوا من عطائه . . قال الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

فمثلاً إذا كنت إنساناً كريماً جداً ، وكنت بمظهر لا يشير إلى غناك ، وإنسان فقير يتلوى جوعاً ، تجد نفسك مضطراً إلى أن تقول له : أنا معي اطلب ما تشاء فأنا معي . أنت الآن تقول له : أنا معي مال ، فهل هدفك أن تفتخر ؟ لا . . بل أنت تقدّم نفسك ليستعين بك ، فهذه حالات نادرة .

الإنسان أحياناً يلبس ثياباً لا تدلُّ على غناه يرى شخصاً يتلوى جوعاً يقول له : أنا معي اطلب ما تشاء ، معي مبلغ كبير اطلب ، وسأعطيك فهل هو يفتخر بهذا القول ؟! لا . . بل يعرِّف هذا الفقير بأنه قادر على عطائه ، فالله عزَّ وجلَّ . . حميد ، أي حامد ، يحمد نفسه لخلقه كي يعرفوه ، وحميد بمعنى محمود ، أي محمودٌ بحمد نفسه وبحمد عباده له ، فالله عز وجل محمود ، يحمده الخلق كله .

وقال بعض العلماء : « **الحميد هو المحمود ، والله تعالى هو الحميد بحمده بنفسه أزلاً وبحمد عباده له أبداً ، من قبل أن يخلق الخلق حمد ذاته ، فلما خلق الخلق حمده خلقه** » .

قال : « **الحميد يرجع هذا الاسمُ إلى صفات الجلالِ والعلوِّ والكمالِ منسوباً إلى الله عزَّ وجلَّ** » ، الله عز وجل له أسماء جلال ، وأسماء كمال ، وأسماء جمال ، وأسماء قهر ، فالله عزَّ وجلَّ جبار ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

ومن أسمائه الجميل واللطيف والرحيم ، وهناك أسماء جمال ، وأسماء جلال ، وأسماء قهر.. المتعالي والعزيز والمتكبر ، فهذا الاسم اسم الحميد منسوب إلى أسماء صفات الجلال والعلوّ والكمال.

قالوا الحميد له معنى آخر : « **الحميد هو مستوجب الحمد ومستحقه** » .

إذا دعيت إلى وليمة غداء ، والطعام نفيس جداً ، وعلى المائدة عشرون شخصاً ، بعد أن تنتهي من الطعام تشكر من ؟ تقول للشخص الذي يجلس بجوارك ؟ لا ، فهذا مدعو مثلك ، أم تبحث عن صاحب الوليمة الذي دعاك وتكلف وجاء بهذا الطعام النفيس ودعاك إليه ؟ فمِن حمق الإنسان أن يشكر إنساناً مدعواً مثله ، من هو المستوجب الحمد في هذه الوليمة ؟ صاحب الدعوة ، لذلك الإنسان يسأل من الدَّاعي ؟ وعندما ينتهي يقول له : أكل طعامكم الأبرار ، فهذا فيما بين الناس بعضهم بعضاً.. فمن الذي يستوجب الحمد وحده ؟ الله جلَّ جلاله لأن كلَّ النعم من عنده .

قال العلماء : « **هو مستوجب الحمد ومستحقُّه ، وهو أهل الثناءِ بما أثنى على نفسه الذي يحمد على كلِّ حال** » .

هناك عبارة شهيرة : الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه .

يُحمد على كل حال ، يُحمد على العطاء وعلى المنع ، وعلى الرفعة ، وعلى الخفض ، وعلى الإعزاز ، وعلى الإذلال ، يُحمد على كلِّ شيء ، وأُذكّر أنّ الله يذلّ ليُعزّ ، ويضرّ لينفع .

وقيل : « **الحميد الذي يوفقك لفعل الخيرات ويَحمدُك عليها** »..

هذا معنى دقيق جداً . . يُعينك على فعل الخير ويَحمدُك عليه .

إذا أراد ربك إظهار فضله عليك ، خلق الفضل ونسبه إليك . أعطاك مالاً وأعطيت من هذا المال ، وبعد هذا يحمدُك الله على إنفاقك والمال منه .

ألا ترون في بعض الأحيان ، حينما يأخذ الطفل من والده ثمن الهدية لأمه ، ثم يعطيها لأمه ، فنحن نشكر هذا الطفل على هذه البادرة الطيبة ، ولكن المال من الأب ، والأب أثنى عليه ، أعطاه ثمن الهدية وجعله يعطيها لأُمه ، فإذا الأبُ يثني على ابنه على هذه الهدية ، وثمن الهدية منه .

لذلك إذا أراد ربّك إظهار فضله عليك ، خلق الفضلَ ونسبه إليك ، أنت لك الطلب ، يا ربّ! أضرع إليك أن توفقَني أن أدعوَ إليك ، فالله تعالى يلهمك ويطلق لسانك ، ويجمع النّاس حولك ، يجعل بعض الأفئدة تهوي إليك ، فهذا فضل من الله عزَّ وجلَّ ، قال الله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

قال : « **الحميد هو الذي يوفقُك للخيرات ويحمدُك عليها ، ويمحو عنك السيئات ولا يُخْجِلك بذكرها** » ، أي ينسيك إياها . . فهل أحد مبرأ من موقف ارتكب فيه خطأً في زمانه ؟ لو لم ينسه لاحترق كلما ذكره ، ولكنه بعد أيّام ينساه ، فالله عز وجل يُنسيك ويمحو عنك السيئة ، ويغفرها لك ، ثم ينسيك إياها ، من أجل أن تقبل عليه ،

هذا هو الحميد ، وقيل : « **الحميد . . هو الحامد بنفسه ، المحمود بحمده لنفسه ، وبحمد عباده له** » .

هذا الاسم العظيم ورد في آياتٍ كثيرة . . ورد في سورة البقرة . . قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

قد يعطي إنسانٌ شيئاً ما يكرهه أو تعافه نفسه لفقير ، فثوابه معدوم ، طعام لم يعد محبباً له ، يرسله إلى فقير ، أما إذا أعطيت طعاماً نفيساً أو أكلة محببة عندك لإنسان فقير فالله تعالى يقبل عطاءك ويُثيبك عليه ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ لا ينسى لك هذا المعروف .

يا ابن آدم! مرضت فلم تعدْني ؟ قال : يا رب! كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين ؟! قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنَّك لو عُدْتَهُ لوجدتني عنده [رواه مسلم] .

أنت عندما تعطي شيئاً نفيساً لإنسان مؤمن ، فقير ، جائع ، الله عزَّ وجلَّ ﴿ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ . . يغنيك ، ويحمدك على هذا العمل ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

وفي سورة هود :

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] .

إنّ أيّ إنسان دعا إلى الله ، وبذل وقته ، وماله ، وصحَّته ، وطاقاته ، لنشر الحقّ ، فهل يضيِّعه الله عزَّ وجلَّ وينساه من فضله! ، يسلمه لأعدائه ؟ ، يخزيه ؟ لا ، أبداً قالت خديجة لرسول الله عليه الصلاة والسلام : **فو الله لا يُخْزِيك الله أبداً** .

موقف السيدة خديجة أقوى دليل على الفطرة ، إن هذه المرأة التي كانت زوجة النبيّ عليه الصلاة والسلام ، حينما رأت من النبيّ ﷺ الصدق ، والأمانة ، والعفاف ، والطهر ، وخدمة الخلق ، كان عليه الصلاة والسلام يقري الضيف ، يُعين الضعيف ، يتصدَّق ، يعين على نوائب الدهر ، قالت له السيدة خديجة : **فو الله لا يخزيك الله أبداً** .

هذه الكلمة أرجو أن يُصغي إليها كلّ مؤمن . . . والله زوال الكون أهون على الله من أن يخزي مؤمناً ، أنت آمنت به ، واستقمت على أمره ، وعاهدته ، واصطلحت معه ، وتسعى جهدك لطلب رضاه ، تتحرى الحلال ، تبحث عما يرضيه فهل يخزيك ؟ . . لا والله . . فو الله لا يخزيك الله أبداً .

تفاءلوا أيها المؤمنون ، النبيّ ﷺ كان يحب التفاؤل ، لا يحبُّ التشاؤم ، الله جلّ جلاله لا يتخلَّى عن المؤمنين ، لكن يؤدِّبُهم ، يبتليهم ، أما في النهاية فيكرمهم ، ويعطيهم ، الآية الكريمة التي يقشعر منها الجلد . . قال الله تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى : ٥] .

معنى ذلك أنَّك الآن في طوْر المعالجة ، انتظر ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ .

الله حميد ، ويحمدكم على عملكم ، هو يحمد ، ومحمود كما قلنا حامد ومحمود ، حميد بمعنى حامد أي يحمد ذاته ويحمد خلقه ، إذا أعطوا ، وبذلوا ، ونصحوا ، وآسوا ، ضحوا ، والتزموا ، وصبروا فإن الله يحمدهم ، يحمدُ نفسه ليعرفوه ، ويحمدهم ليذكروه ، وهو محمودٌ في أفعالهِ كلِّها .

في سورة إبراهيم قال تعالى :

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] .

هذا الصراط صراط الله عزَّ وجلَّ ، الصراط المستقيم هذا يوصلك إلى العزيز الحميد ، العزيز هو الذي لا ينال جانبه ، العزيز القوي ، العزيز الفرد الواحد الصمد ، العزيز الذي لا إله غيره ، يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ويستحيل الإحاطة به ، عزيزٌ حميد.. دقيق المعنى.. هو عليٌّ عظيم وفي الوقت نفسه يكافيء على كلِّ معروف .

قد يكون شخصٌ عالي المقام ولعلوِّ مقامه ، ليس لديه وقت ليعرف ، ماذا قُدِّمَ له ؟... أما ربُّنا عزَّ وجلَّ على علوِّ مقامه ، وعلى عظمة ذاته ، إن عباده إذا فعلوا معروفاً حمدهم عليه ، عزيزٌ حميد .

وفي سورة الحج :

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [الحج : ٢٤] .

أصعب شيء أنّ تُسدي إلى إنسان معروفاً ، ثم تفاجأ أنَّ هذا

الإنسان تنكَّر لك ، وجحد فضلك ، وأدار لك ظهر المِجَنّ قال مالك بن فهم الأزدي :

أُعلِّمه الرماية كلّ يو ... مٍ فلما استدَّ ساعده رماني
وكم عَلَّمْتُه نظم القوافي ... فلما قال قافيةً هجاني
أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طرَّ شاربه جفاني

فإذا تعامل الإنسان مع الله ، فلا تجد عنده مشكة ، لو تعامل مع قويّ ، أو مع إنسان آخر ، أحياناً يقول لك : أنا أخلصت له ، وبذلت من أجله الغالي والرخيص ، ومع ذلك كان لئيماً ، وكان جحوداً ، تنكَّر لي ، أدار لي ظهره ، لم يعبأ بي ، وتخلَّى عني ، فهذا شيء لا يحتمل أن تُسدي إلى إنسان معروفاً ، ثمّ يتنكَّرُ لك . . ولقد قال الله تعالى : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ .

أما إذا أقبلت على الله ، فلن يضيِّعك . . السيدة هاجر نادتْ زوجها سيدنا إبراهيم لما تركها وإسماعيل ولده في واد غير ذي زرع قالت له : الله الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يُضَيِّعُنا ، هذا هو شعور المسلم أنَّ الله لن يضيع عبده ، قال الله تعالى : ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج : ٦٤] .

هذا معنى جديد ، هو غنيٌّ عنّا ، ومع أنه غنيٌّ عنّا يعاملنا معاملةً نحمده عليها .

تجد إنساناً أحياناً يغتني ، فيترفَّع ، ويتأفَّف ، ويستغني ، وينسى أقرباءه الفقراء ، وينسى جيرانه ، فهو إذاً غنيٌّ غير حميد ، أما ربنا عزَّ وجلَّ فهو غنيٌّ عنا ، وعن عبادتنا ، وعن طاعتنا ، وعن ذكرنا ، وعن

ابتهالنا ، ومع ذلك لا يعاملنا إلا بما نحمده عليه ، الله هو « **الغني الحميد . عزيز حميد ، حميد مجيد** » .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان : ١٢] .

هذه « **غني حميد** » دقيقة الدلالة جداً . هو غنيٌّ عنا ومع ذلك كاملٌ في معاملته ، لا يعاملنا إلا معاملة نحمده عليها .

في سورة سبأ قال تعالى :

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبا : ٦] .

إنّ علينا نحن المسلمين أن ندقق النظر عند كلمة « **عزيز حميد ، غنيٌّ حميد ، حميدٌ مجيد** » ، وندرك أبعادهاً وأثرها علينا ، وفي سورة فاطر قال تعالى :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

وبعد ، من الحميد من العباد ؟ قال العلماء : من استقامت عقيدته ، واستقامت أخلاقه ، وأعماله ، وأقواله ، وأفعاله .

من هو الذي يُحمد على عقيدته وعلى أخلاقه وعلى أعماله وعلى أقواله ؟ هو النّبيُّ عليه الصلاة والسلام ، رسول الله ﷺ هو من العباد الحميد ، سمَّاه الله محموداً ، محمودٌ عند ربّه ، ومحمودٌ عند الخلق ، ومحمودٌ عند نفسه ، بعد النّبي عليه الصلاة والسلام يأتي الرُّسل والأنبياء والصدّيقون والأولياء والعلماء ، كلّ واحدٍ منهم حميدٌ بقدر سلامة عقيدته ، واستقامة أخلاقه ، وصلاح أعماله ، وسداد أقواله .

فأنت تُحمد على قدرِ سلامة عقيدتك ، واستقامة أخلاقك ، وصلاح أعمالك ، وسداد أقولك ، فكلَّما ارتقيت في سلَّم الكمال تحمد على هذا الكمال ، أي هناك علاقة طرديَّة بين الكمال والحمد ، من هو الحميد المطلق ؟ هو الله عزَّ وجلَّ .

الإنسان كامل في ألف موقف ، فتزل قدمه في موقف يبقى عند الناس كاملاً ، أما ربنا عزَّ وجلَّ فكماله مطلق . . إذاً هو الحميد المطلق .

بعضهم يقول : « **الحميد من العباد هو من حسنت عقيدته ، وأخلاقه ، وأعماله ، وأقواله ، من غير نقصٍ ولا خلل** » .

قال العلماء : « **لم تظهر خصائص اسم الحميد في العباد جليةً ، واضحةً في فردٍ في الوجود ، إلا النّبي عليه الصلاة والسلام** » .

وأجمل منك لم تر قطُّ عيني وأكمل منك لم تلد النساءُ

قال : الناس على أطباقٍ ثلاثة في علاقتهم بحمد الله عزَّ وجلَّ ، العامَّة : يحمدونه على إيصال اللَّذات الجسمانية . أكل ، وشرب ، وبيت ، وزوجة ، ويقول لك : الله مفضل ، العوام يحمدون الله على اللذائذ الحسيَّة . . والخواص يحمدونه على اللَّذات الروْحانية . قرأت قرآن ، وشعرت بتجليات وسكينة ، أو صليت صلاة متقنة ، شعرت أنّك اقتربت من الله ، تفتَّقت معان لطيفة حينما قرأت القرآن . . هؤلاء الخواص : يحمدونه على اللَّذات الروحانية .

قال العلماء أيضاً : أما خواص الخواص المقربون يحمدونه لأنه أهلٌ للحمد . إما أن تحمده على تعمةٍ حسية ، أو على نعمةٍ روحية ، أو لأنه أهلٌ للحمد .

قالوا : أدب المؤمن مع الحميد سبحانه . . هو أنَّه يمدح الله عزَّ وجلَّ دائماً ، ويثني عليه ، ويحمده على كلِّ شيء .

ولندقق النظر بعد كل هذا الشرح فقد قال العلماء : « **من حمد الله ولم يتحَقَّق من هذه النعم حمده تقليداً ، فهذا الحمد غير مقبولٍ منه** » ، ما الدليل ؟ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٦٩] .

هل تحققت من نِعم الله ؟ لذلك الحمد لا يقبل إلا إذا كان عن تحقُّق . . فهل تحققت من نعمة الوجود ؟ نعمة الإمداد ؟ نعمة الهدى والرشاد ؟ وإلا حمدك هو الحمد التقليدي .

أنا أحياناً أسأل إنساناً ملحداً أقول له : كيف صحتك ؟ يقول : الحمد لله . وهو ملحد ينكر وجود الله ، يقول لك : الحمد لله . هذا الكلام لامعنى له إطلاقاً ، لا بدَّ من أن تقول الحمد لله وأنت متحقِّقٌ من نعم الله عزَّ وجلَّ . . أوجدك وأمدَّك وهداك إليه .

لذلك كان النّبيُّ الكريم ﷺ **تعظم عنده النعمة مهما دقَّت** .

الفرق بين الكافر والمؤمن فرق دقيق ، فالكافر يشهد النعمة وينتفع بها ، والمؤمن يشهد المُنعم من خلال النعمة .

الفرق بين المؤمن والكافر ، الكافر مع النعمة ، أما المؤمن فهو مع المنعم ، الكافر يستمتع بالدنيا ، بيت فخم وأثاث جميل ، وطعام طيب كلّ شيء من أعلى مستوى ، يستمتع بها أشدَّ الاستمتاع ، هو مع النعمة ، لا مع المُنعم ، المؤمن مع المُنعم هذا هو الفرق ، وهو فرق صارخ .

قال العلماء : ورد أنَّ داود عليه السلام قال لربه : يا إلهي كيف

أشكرك ؟ وشكري لك نعمةٌ منك عليّ . أي إذا شكرتك هذه نعمة جديدة تضيفها إليّ ، فقال الله عزَّ وجلَّ لهذا النّبي الكريم : الآن شكرتني .

قال موسى : يا رب! كيف شكرك آدم ؟قال : علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره [البيهقي في الشعب] .

إذا علمت أن هذه النعم من الله وأنك إذا شكرتهُ عليها ، اكتسبت نعمة جديدة فقد شكرت الله عزَّ وجلَّ . . روي في الأثر القدسي « **ابن آدم! إنك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني** » .

آخر كلمة أقولها وأختم بها البحث : الشكر الحقيقي له ثلاثة مستويات ، أول مستوى : أن تعرف أنَّ هذه النعمة من الله ، هذا مستوى جيد ، الأرقى منه أن تقابل هذه النعمة بامتنانٍ وحمدٍ بلسانك وقلبك ، أما الثالثة أرقى وأرقى وهي أن تقابل هذه النعمة بعملٍ صالحٍ . . والدليل :

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

الخلاصة إذاً أن تعرف أن هذه النعمة من الله هذا مستوى ، وأن تثني على الله بلسانك وبقلبك هذا مستوى آخر ، أما أن تقابل هذه النعمة بعملٍ جليل لخدمة الخلق فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يلهمنا الخير .

* * *